رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 41- سورة سبأ | من الأية 34 إلى 54

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عن ما كان يعبد اباؤكم - 00:00:01

وقالوا ما هذا الا افك مفترى. وقال الذين كفروا للحق لما جاء وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشر ما اتيناهم فكذبوا رسل - 00:00:38

فكذبوا رسلي فكيف كان نكير هذه الايات الكريمة من سورة سبأ في بيان ما قاله الكفار وردوا به على النبي صلى الله عليه وسلم دعوته اياهم الى الهدى والحق ردوا على النبي صلى الله عليه وسلم - 00:01:13

بغير برهان ومن غير تأمل لما جاءهم به وانما مفاجأة لما جاءهم ردوا عليه دعوته صلى الله عليه وسلم والصقوا به التهم التي هو بريء منها صلوات الله وسلامه عليه - 00:01:52

ووصفوا القرآن ووصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم وصفوهم بثلاث صفات كلها كذب وافتراء منهم يأتي بيانها الاستقراء يقول الله جل وعلا واذا تتلى عليهم اياتنا تتلى يعني يقرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم - 00:02:20

والمراد بقوله اياتنا يا ايات القرآن يتلوها النبي صلى الله عليه وسلم بينات حال منها يعني حال كونها بينات واضحات باسلوب واضح جلي معجز لهم يعرفون في حقيقة انفسهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم - 00:02:58

لا يمكن ان يأتي بمثل هذا القرآن وهو امي لا يقرأ المكتوب ولا يكتب صلوات الله وسلامه عليه وهذه من دلائل صدقه الامية فيه صلى الله عليه وسلم صفة مدح - 00:03:35

حيث اتى بهذا الكتاب العظيم وهو امي لا يقرأ ولا يكتب لا يعرف كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام بينما الامية في غيره صفة نقص يعني الكاتب - 00:04:03

القارئ من عامة الناس افضل من غير الكاتب والقارئ لكنه صلى الله عليه وسلم لما جاء بهذا القرآن وهو بهذه الصفة فهي دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم والامية - 00:04:25

صفة مدح اللهو امي لا يقرأ ولا يكتب واتى بهذا القرآن من عند الله جل وعلا واذا تتلى عليهم اي على الكفار من مشركين واهل كتاب كلهم يقال لهم كفار - 00:04:48

لان من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقه فهو كافر ايا كان قالوا ما هذا هذا صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم - 00:05:12

قالوا ما هذا الا رجل واتوا بلفظ النكرة يعني رجل اي رجل كانه رجل غير معروف وهو عليه الصلاة والسلام معروف عندهم منذ صغره في صفات بصفات الكمال الصدق والامانة - 00:05:37

قالوا ما هذا الا رجل يريد يعني مبني على رغبة منه ان يصرفكم عما يعبد اباؤكم لتلتفتوا اليه لانه قالوا يريد ان يصرفكم اليه بدل من ان تكونوا على منهج اسلافكم - 00:06:04

تكون على ما يريد يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم يصدكم يعني يصرفكم عن طريقة اسلافكم وابائكم يريد ان تكونوا على ما

يريد هو وهذا تنقص للنبي صلى الله عليه وسلم - 00:06:28
فهو يريد لهم السعادة يريد لهم النجاة. يريد لهم الاستقامة على الحق يريد لهم الخير في الدنيا والاخرة وهو لا يريد شيئا لنفسه صلى الله عليه وسلم. وانما يريد لهم ما يسعدهم - 00:06:54
تبليغا لرسالة ربه وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقالوا ما هذا الذي يتلوه ويقرأه محمد يعني ما هذا القرآن الا افك والافك الكذب قالوا هذا كذب مفترى يعني نسبه الى الله - 00:07:16
افتراءا نسبته الى الله افتراء يعني هو كذب لا يصلح ان ينسب الى الله ونسبته الى الله كذب قالوا ما هذا الا افك مفترى يعني اختلقه من عنده واتى به كذبا - 00:07:50
قالوا هاتان هاتين الصفتين الرسول صلى الله عليه وسلم وفي القرآن قد يقول لهم قائل الرجل المجهول الذي يريد ان يصد الناس عن طريقة اسلافهم وابائهم ويأتي بشيء مفترى وكذب - 00:08:21
لماذا تميل اليه النفوس والعقول واذا خاطب الرجل الذي جرد نفسه عن الهواء تجده استمالة وقد كان بعض الوافدين الى مكة للاطلاع على ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم - 00:08:50
بعضهم من شدة ما يقوله كفار قريش عن الرسول صلى الله عليه وسلم يضعون في آذانهم القطن خشية ان يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وسلم لانهم يقولون له يفتنكم ويسحركم - 00:09:16
وكانوا يضعون في اذانهم القطن حتى لا يسمعوا قد يقول لهم قائل لم الناس يميلون اليه ويقبلون منه الناس العقلاء لا يقبلون الكذب ولا يقبلون الافتراء يعرفونه كلمة يميلون اليه - 00:09:37
قالوا الصفة الثالثة وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين. قالوا هذا سحر محمد يسحر من يخاطبه ثم يميل اليه وهم في انفسهم يعرفون الفرق بين الصدق والكذب - 00:10:00
والسحر والحقيقة يعرفون ذلك لكن مكابرة ومعاندة وقال الذين كفروا اعاد اسم القائلين صراحة دون الظمير لتشكيل الكفر عليهم ولم يقل جل وعلا وقالوا للحق لانهم هم المتكلم عنهم. وانما قال وقال الذين كفروا لتسجيل الكفر عليهم لانهم ما حملهم على - 00:10:26
هذا القول الا كفرهم وقال الذين كفروا للحق الهدى والقرآن العظيم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ان هذا يعني ما هذا الا سحر سحر مبين يعني بين واضح - 00:11:03
وكل هذا افترى منهم والا هم يميزون بين السحر والحقيقة مميزون بين الصدق والكذب عندهم عقول وعندهم معرفة كما قال احد الصحابة رضي الله عنهم عمرو بن العاص وهو عند مسيلمة - 00:11:28
لما قرأ عليه مسيلمة من قرآنه الذي هذر وخرافة قال والله انك تعلم اني اعلم انك كاذب حتى لو قلت لك مثلا ان قرآنك هذا حسن تعرف مستواي ومعرفتي للكلام الصحيح من الكلام الخطأ - 00:11:49
والله انك تعلم اني اعلم انك كاذب لان كلام مسيلمة كلام هراء سخافة وكفار قريش يعرفون وصاحة القرآن وحسن اسلوبه وحقيقة دعوته يعرفون ذلك ولهذا روي ان بعضهم كان يأتي في اثناء الليل - 00:12:08
يتلصص على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن من اجل ان يتلذذ بسماع القرآن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن في داره وكانوا يأتون باستخفاء لاجل ان يسمعوا كلام - 00:12:40
النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقرأ يتلذذون بذلك يدركون معنى كلام الله جل وعلا لكن حملهم ذلك العناد والمكابرة الحسد للنبي صلى الله عليه وسلم وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا اي ما هذا الذي جاء به محمد الا سحر - 00:13:01
بين سحر مبين واضح الصفة الاولى محمد صلى الله عليه وسلم رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم الصفة الثانية للقرآن قالوا وقالوا ما هذا الا افك مفترى كذب مختلق - 00:13:29
والصفة الثالثة لاسلوب القرآن وحسن لفظة وما اشتمل عليه من معان عظيمة تجلب اليه العقول وتستسلم له قالوا هذا ما هذا الا سحر مبين قال بعض المفسرين المراد بالصفة الثالثة - 00:13:53

التوحيد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لان اهل الكتاب الكفار منهم ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وينكرون معجزته القرآن لكن ما ينكرون التوحيد بان جميع الرسل السابقة كلها تدعو الى توحيد الله جل وعلا - 00:14:24

وانما الذي ينكر التوحيد هم كفار قريش بانهم لا ينتمون الى كتاب يقول الله جل وعلا ردا عليهم في سرعة ردهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما اتيناهم من كتب يدرسونها - 00:14:53

وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير قال الله جل وعلا واذا تتلى عليهم اياتنا يعني بعد تلاوة الايات مباشرة كأنه قال انهم لم يتأملوا ولم يتدبروا ما قيل لهم مباشرة - 00:15:20

ردوها وهذا دليل على انهم ردوها عنادا ما لم يتأملوا فيها فوجدوها صالحة او غير صالحة اصلا ما تأملوا فيها وهم لم يكن عندهم علم سابق يقولون ان ما جاء به محمد يخالف ما عندنا - 00:15:44

يعني اهل الكتاب من باب الافتراء منهم والكذب قالوا ما جاء به محمد يخالف ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام يخالف ما جاء به عيسى فنحن نرده يعني كأنهم يردون - 00:16:14

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بناء على كتبهم السابقة كلمة منهم لكن عندهم شيء يحتجون به لكن بالنسبة لكفار قريش اصلا ما جاءهم كتاب من قبل علشان يقولون ما جاء به محمد يخالف ما عندنا في كتبنا السابقة - 00:16:37

وما اتيناهم من كتب يدرسونها. لانهم ليسوا باهل كتاب ما جاءهم رسول بعد إسماعيل عليه الصلاة والسلام اسماعيل عليه الصلاة والسلام رسول نبي لكن انتهت رسالته بوفاته وموته عليه الصلاة والسلام - 00:17:05

ومن منذ تأسيس مكة وبناء البيت في زمن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يأتي لاهل مكة رسول ولا نبي وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم من نذير يعني ما جاءهم نذير من قبل من اجل ان يقولوا ان ما جاء به محمد يخالف ما جاءتنا - 00:17:36

هذه الرسل من قبل ما جاءهم احد ثم ان الله جل وعلا بابطاله كلامهم هذا في قوله وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلهم وما ارسلنا اليهم قبلك من - 00:18:11

نذير توعدهم توعدهم بماذا بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير وكذب الذين من قبلهم يقول الامم السابقة كذبت وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم - 00:18:31

يا محمد لست انت اول مكذب وليس الموضوع لتقصير منك في التبليغ وكذبوك؟ لا هذه طريقة الكفار من قبل وانتم يا كفار قريش انتبهوا لكم سلف وماذا حصل لسلفكم ان لم تؤمنوا سيأتيكم ما اتاهم - 00:19:05

وفي الاية تسليح للنبي صلى الله عليه وسلم وانذار وتخويف لكفار قريش وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا قومك يا محمد ما بلغ الكفار هؤلاء معشار ما اتيناهم اولئك اعطاهم الله جل وعلا القوة - 00:19:39

واعطاهم الله جل وعلا طول الاعمار كانت اعمار بعضهم تزيد على الف سنة كما ذكر الله جل وعلا في كتابه عن نوح عليه السلام انه مكث يدعو قومه الف سنة الا خمسين - 00:20:14

يدعوهم الى توحيد الله الف سنة الا خمسين عاما. كم عمره قبل الرسالة الى ثلاث مئة سنة وكم بقي بعد ما اهلكهم الله جل وعلا بالطوفان الله اعلم قيل عدد من السنوات - 00:20:35

فعمره يزيد على الف سنة بكثير فاولئك اعطاهم الله جل وعلا طول الاعمار واعطاهم الله جل وعلا القدرة والقوة والضخامة ومد لهم في الاموال هؤلاء ما اعطوا مثلهم ولا معشار ما اعطوا اولئك - 00:21:00

ما المراد بالمعشار قيل العشر العشر فلفظ المعشار يطلق على العشر واحد من عشرة وقالوا لا يأتي العدد بهذا الصيغة وهذا الوزن الا المعشار والمرباع المعشار للعشر والمرباع للربع فلا يقال مثلات - 00:21:38

ولا مخماش وانما مرباع ومعشار والمراد به العشر قال بعض المفسرين المراد به عشر العشر وقيل عشر عشر العشر يعني عشر العشر واحد من مئة وعشر عشر العشر يقول واحد من الف - 00:22:15

وجمهور المفسرين على ان المراد بالمعشار العشر يعني واحد من عشرة طيب ما داموا ما اعطوا الا اقل من عشر ما اعطي اولئك فما الذي حصل لاولئك الهلاك بلا شك يعرفون ذلك كفار قريش - 00:22:52

يمرون بديارهم في ذهابهم وعودتهم الى الشام والى اليمن يعرفون ما حصل للامم السابقة ما وجه التوعد في هذا يعني ان اولئك انتم لم تعطوا معشار ما اعطوا ومع ذلك فهم لم يعجزوا الله جل وعلا - 00:23:16

اخذهم الله جل وعلا فانتم اقل منهم بكثير واظعف فلا يستطيع احد ان يقف امام قدرة الله جل وعلا كائنا من كان حتى من كان يأخذ السمك من قعر البحر ويشويها في عين الشمس بقوته وجسمه وعظمته. لا يستطيع - 00:23:45

ولعلهم تعاظموا بقوتهم كما روي ان ابا جهل قال ان محمد يذكر ان خزنة النار تسعة عشر انا اكفيكم سبعة عشر منهم وانتم عليكم يا بقية قريش الاثنين وتصدى وزعم انه يتصدى لسبعة عشر من خزنة جهنم - 00:24:14

والله جل وعلا يقول وكذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب ولم يستطيعوا بقوتهم مع ما اعطوا من القوة ما استطاعوا ان يقفوا في وجه العذاب وانتم يا كفار قريش ما اعطيتم ولا عشرا ما اعطوا من القوة - 00:24:47

ساهلك فكذبوا رسلي فاهلكوا فكيف كان نكير كيف كان عذابهم؟ لا تسأل عنه يعني هو فظيع عذبهم الله جل وعلا بما شاء لان الله جل وعلا يعذب من شاء من خلقه - 00:25:15

بما شاء من خلقه قد يعذب الظالم الطاغية باضعف خلقه جل وعلا بالبعوضة فلا يستطيع الخلاص منها مهما اعطي من قوة ومن امكانيات ومن جند ومن مدافعين تنفذ الى خياشيمه فتدخل فيه فلا يستطيع احد ان - 00:25:42

ينقذه منها اهلك بالصيحة اهلك بالريح اهلك بالماء الذي كان يتعاظم ويتجبر به فرعون ويذكره من عظمته وهذه الانهار تجري من تحتي اهلكه الله جل وعلا بالماء الذي افتخر به - 00:26:18

في البحر والله جل وعلا يتوعد الكفار لانهم ان لم ينقادوا لمحمد صلى الله عليه وسلم سيحل بهم مثل ما حل بالامم السابقة مع ان الامم السابقة كان عندها وعندها وعندها من القوة والمناعة - 00:26:44

فلم تفدهم قوتهم شيئا وانتم يا كفار قريش ما اعطيتم ولا معشار ما لان كل العطاء من الله جل وعلا وهو جل وعلا المعطي اعطى اولئك ما شاء ولم تمنعهم قوتهم - 00:27:09

وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا كفار قريش معشار ما اتيناهم اي المكذبين الامم السابقة فكذبوا رسلي وكذب الذين من قبلهم فكذبوا رسلي. قد يقول قائل هذا تكرير لا تكرير في القرآن الا لفائدة عظيمة - 00:27:31

وكذب الذين من قبلهم ماذا اشياء كثيرة كذبوا بالايات كذبوا بالادلة كذبوا الرسل كذبوا الكتب كذبوا كل شيء وكذب الذين من قبلهم لم يذكروا جل وعلا المكذب به ثم اعاد التكذيب - 00:28:01

بانهم كذبوا الرسل وهذا دلالة على زيادة الاهتمام واستحقاقهم والعذاب بتكذيبهم الرسل لانهم رسول مرسل من الله جل وعلا فيكذبه الكافر العنيد ويحلم الله عليه؟ لا ليس هذا محل المفروض - 00:28:27

ان العبد الذليل الحقير يفرح ويسر لان الله جل وعلا يرسل له افضل خلقه يدعوه الى الخير والصلاح والاستقامة هذا لو كان فيه عقول نافعة ولا العقول موجودة لكن عقول ليست بنافعة - 00:28:56

لو في عقول نافعة كان يعتبرون ذلك شرفا لهم وفخرا متابعته لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الله اكرمهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا رسلي كذبوا بكل شيء - 00:29:20

ومن ذلك تكذيب الرسل والتكذيب مطلقا شيء مكروه ومذموم فما بالك بتكذيب رسول جاء من عند الله جل وعلا ارسله الله ليبلغ الناس وتكذيب هذا يستحق المكذب عليه اشد العذاب - 00:29:45

ولذا قال جل وعلا فكيف كان نكير؟ يعني لا تسأل عن تعذيبهم امر شديد وفظيع لم يمهلهم وهو جل وعلا ابقاهم لتقوم عليهم الحجة ثم استأصلهم فلم يبق من الكفار احد - 00:30:13

والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:30:48